Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التراب ، ظاهرة فى متناول الجميع ، تقع عليه حواسهم ، ولايختلفون فى تحديد طبيعته وتحليل عناصره ، هذا على فرض وجوده خارج الأبيات لكنه ـــ داخلها ـــ رمز لغوى يشير إلى مفهومه فى السياق الشعرى ، إنه يمثل الشىء ونقيضه ، فلقد طال السجود عليه ، لأنه مصدر تشكيل الوجود وولادته ، وهو مسرح مسيرنا الطويل ، عليه تمارس الحياة بأنفاسها ، بعنفها ولينها ، وهو نفسه يحمل له فى صدره فناءها ، سياطه قاسية لأنها تلف كل حى ، وتخلع الفناء على كل شىء ، فتستحيل الحركة إلى سكون والحياة إلى موت ، والبصر فى الشعور إلى عماء فى قلب كل شىء وذراته .

إن التراب ـــ هنا ـــ يغير شكله الخارجى ، عندما ينمو خلال تداعيات القصيدة ، لأنه ليس ذلك التراب المألوف الذى يبدو جمادا أكيدا ، ولكنه يملك الحس والحركة ، القدرة غير العادية ، إنه يحمل الحياة فى طياته للوجود ، فتمارس الحياة ، وتقام شعائر الخلق ، وهو فى نفس الوقت ـــ يحمل موت الوجود ، فهو البداية والنهاية ، المسير والتوقف ، العزة والذل ، الحنين ، والعنف ، إذن ـــ الرمز ـــ هنا ـــ مبتكر بشكل غير إرادى ، ومختلف فى نمطه عن الرمز فى القصيدتين السابقتين ـــ فهو يسير هناك موازيا لفكرة متخيلة يوحى بها السياق أو الطرف المحسوس للرمز . أو معبرا عن الفكرة ذاتها ـــ الطرف المحسوس فى القصيدتين السابقتين تركيبة معقدة من مجموعة الصور المتآزرة والمتفاعلة .

ولكنه ـــ هنا ـــ يبدأ من كونه مجرد رمز لغوى مفرد يكتسب أبعاده بموقعه فى سياق القصيدة ، لايحتاج إلى افتراض فكرة ، أو تخيل حقيقة مجردة فى الحالة الأولى يغيم الرمز ، فتكون قدرته على العطاء بلا حدود لكثرة التشابه بين الشبه والتنوع ، وفى الحالة الثانية ، يعتمد على المتشابهات الحسية فى توليد الايحاء ـــ الرمز الأول يقتصر عطاؤه على القصيدة التى يحدد الرؤيا بها ، لكن الرمز الثانى ـــ يتنوع عطاؤه من قصيدة لأخرى فى نتاج الشاعر . كما سنحدده فيما بعد .

٣ ـــ البعد الأسطورى للرمز

والرمز كالصور تماما فى أن كلا منهما يمتاح من ذاكرة الشاعر « الجمعية » و « الشخصية » بحيث تكتسب الأشياء « مايصح أن نسميه بعدا سلفيا »[1] هذا

(١) مشكلة المعنى فى النقد الحديث ص ١١٧ ـــ وانظر أيضا ـــ الدكتور أنس داود ـــ الاسطورة فى الشعر العربى الحديث ـــ مكتبة عين شمس ١٩٧٥ ص ٣٩